6

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلا إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُ مْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)**}** [النساء] **{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102)**}** [آل عمران] **{** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70)**}** [الأحزاب].

أما بعد:

فمن أهم فوائد السجن في سبيل الله ما يلي:

1. وسام عز وشرف:

أخي السجـ ين في سبيل الله إن هذا الابتلاء يرفعك أعلى الدرجات ويرقيك في سلم المجد والشرف

لقد دخل يوسف عليه السلام السجن في صورة العبد المملوك لكنه خرج منه ملكا لمصر كلها، قال الله تعالى: **{** وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ**}** [يوسف 21].

وسجن أبو حنيفة النعمان بن ثابت فصبر حتى أصبح إمام أئمة الدين ورفع الله الله ذكره في العالمين.

وسجن الإمام مالك بن أنس فصبر على ما تعرض له من تعذيب جسدي ومعنوي، فخرج منه وهو إمام المدينة الذي تضرب إليه أكباد الإبل من مشارق الأرض ومغاربها.

وسجن الإمام أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن أكثر من 18 سنة صامدا صمود الجبال الرواسي، فخرج وهو إمام أهل السنة والجماعة.

وسجن تقي الدين ابن تيمية مرات عديدة كلها في ذات الله فصبر واحتسب حتى صار شيخ الإسلام وإمام المسلمين وقامع المبتدعين.

اصبر أخي إذا نابتك نائبة ولا تقـ ولن مني الذرع قد ضاقا
فبالنوائب مع صبر تجد شرفا كالبدر يزداد في الظلماء إشراقا

ا 2. طريق الأنبياء:

لقد لبث يوسف عليه السلام في السجن بضع سنين، { ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآَيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (35)} [يوسف] لقد تضرر أهله من ذلك السجن الطويل حتى عمي والده من شدة الحزن عليه، {وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84)} [يوسف].

ولقد هدد موسى عليه السلام بالسجن فقال له فرعون: {لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29)} [الشعراء].

أخي السجين في سبيل الله ا صبر واحتسب فإن ذلك سبيل الأنبياء والرسل عليهم السلام .

وسجن الأ ئمة الأربعة وشيخ الاسلام ابن تيمية و شمس الدين ابن القيم وأبومحمد ابن حزم وابن حجر العسقلاني وأبو الفداء ابن كثير وأبو السعادات ابن الأ ثير وعبد الغني المقدسي ومحمد بن أحمد السرخسي والمهدي و العز ابن عبد السلام وغيرهم كثير وأنت على الأثر.

تطرق أهل الفضل دون الورى مصائب الدنيا وآفاتها
فالطير لا يسجن من بينها إلا التي تطرب أصواتها

أخي السجين اعلم أن الطغاة ما سجنوك إلا لعجزهم عن الرد عليك بالحجة، فأجابوك بهذا الجواب الذي يتداوله أهل الباطل من يـ وم: { حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ} [الأنبياء 68] ويوم: { لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} وبه أجابت الجهمية الإمام أحمد بن حنبل لما

عرضوه على السياط، وبه أجاب أهل البدع شيخ الإسلام ابن تيمية حين أودعوه السجن، وها أنت على الأثر..

3. فرصة التحصيل العلمي:

أخي السجين في سبيل الله أمامك فرصة ثمينة للتحصيل العلمي فأقبل في السجن على تعلم العلم النافع وتعليمه.

سجن شيخ الإسلام ابن تيمية فكتب مجموع الفتاوى الذي بلغ 37 مجلدا في مختلف العلوم الشرعية.

وسجن الإمام السرخسي في بـ ئر معطلة فأخرج للأمة كتابه المبسوط في حوالي 20 مجلدا.

وأقعد ابن الأثير فصنف جامع الأصول في حوالي 12 مجلدا وكتاب النهاية في غريب الحديث وغيرهما.

وسجن سبعة أعوام [794-801] أحمد بن يحيى الملقب المهدي فألف كتابه حدائق الأزهار وعمره حوالي 21 سنة.

ونفي جمال الديـ ن ابن الجوزي من بغداد فجود القرآن بالقراءات السبع.

أخي السجين حول المحنة إلى منحة، أضف إلى الليمون الحامض سكرا فيصبح شرابا طيبا:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

4. السعادة الحقيقية:

ليست السعادة في قصر عبد الملك بن مروان ولا جيوش هارون الرشيد ولا دور ابن الجصاص ولا كنوز قارون ولا في كتاب الشفاء لابن سينا ولا حدائق قرطبة ولا بساتين الزهراء...

ليست السعادة شيكا يصرف، ولا سيارة فارهة تركب، ولا قصرا شامخا يسكن، ولا تجارة تدار، ولا برا يكال، ولا وردة تشم..

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد

إن السعادة في الإيمان بالله والاستسلام لشرعه وأمره، والرضا بقضائه وقدره. السعادة أن ترضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد r نبيا ورسولا.

السعادة عند رسول الله r وصحابته مع قلة ذات اليد وشظف المعيشة وزهادة الموارد وشح النفقة.

السعادة عند يوسف عليه السلام في سجنه، وعند ابن المسيب في تألهه، وعند الحسن البصري في صدقه، وعند ثابت البناني في عبادته، وعند الإمام مالك في مراقبته، ومع الشافعي في استنباطاته، ومع البخاري في صحيحه.

قال Y : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)} [النحل].

أخي السجين في سبيل الله أقبل على عبادة الله بإخلاص، وتبتل إليه تبتيلا، ومد إليه أكف الضراعة تجد السعادة الحقيقية:

اصبر على الدهر إن أصبحت منغمسا ... بالضيق في لجج تهوي إلى لجج
فما تجرع كأس الصبر معتصم ... بالله إلا أتاه الله بالفرج

ı 5. الخلوة والعزلة:

قال ابن تيمية: « ماذا يفعل أعدائي بي؟! أنا جنتي وبستاني في صدري أنى سرت فهي معي، إن قتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وسجني خلوة».

نعم إن السجن في سبيل الله خلوة وعزلة عن الشر وأهله، وعن الفارغين واللاهين والفوضويين، فيجتمع عليك شملك، ويهدأ بالك، ويرتاح خاطرك، ويجود ذهنك بدرر الحكم، ويسرح طرفك في بستان

المعارف، كما أن هذه الخلوة تلقيح للفكر وإقامة لناموس الخشية واحتفال بمولد الإنابة..

وخلاصة الأمر أني ما رأيت كالسجـ ـن في سبيل الله عزا وشرفا وبعدا عن السوء وصونا للجاه والوقت وحفظا للعمر وبعدا عن الحساد والثقلاء وتفكرا في الآخرة واستعدادا للقاء الله واغتناما في الطاعة وإخراجا لكنوز الحكم، فكل اللامعين والعباقرة والجهابذة ورواد التاريخ وسادة الفضائل وعيون الدهر وكواكب المحافل.. كلهم سقوا غرس نبلهم من مادة السجن في سبيل الله حتى استوى على سوقه، فنبتت شجرة عظيمة فآتت أكلها بإذن ربها.

قال الحميدي:

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الإكثار من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا لكسب العلم أو إصلاح حال

6. التوكل:

إذا اشتد عليك الكرب في السجن وعظم وتناهى وحصل لك اليأس من كشفه من جهة المخلوقين، تعلق قلبك بالله وحده، فاعتمدت عليه وطرحت نفسك بين يديه، وهذه هي حقيقة التوكل، فهو تفويض الأمر إلى الله والثقة بموعوده والرضا بصنيعه، وحسن الظن به وانتظار الفرج منه وهذا ما تـ ـعيشه في السجن، كما تطمئن إلى حسن العاقبة فتجد الرعاية والولاية والكفاية والتأبيد والنصرة من حيث لم تحتسب: { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق].

أخي السجين.. خذ الحيطة واستعمل الأسباب مع التوكـل على الله، فقد قال الله تعالى لامرأة في حال الولادة: { وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25)} [مريم].

ألم تر أن الله قال لمريم فهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها جنته ولكن كل شيء له سبب

وقال r : « اعقلها وتوكل على الله». رواه الترمذي (2517) وحسنه الالباني في المشكاة (22).

فالأخذ بالسبب مع التوكل على الله قوام التوحيد، وترك السبب مع ادعاء التوكل قدح في الشرع، وأخذ السبب مع ترك التوكل قادح في التوحيد.

l 7. إكمال العبودية:

أخي السجين.. إن سجنك في سبيل الله يكمل عبوديتك في السراء والضراء، وفي حال العقوبة والبلاء حتى تصبر وتحتسب في الضراء، وتحمد وتشكر في السراء، ولا يستقيم القلب إلا بهذا وهذا، كما لا يستقيم الجسد إلا بالحر والبرد والجوع والعطش والراحة والتعب ونحو ذلك.

عن صهيب بن سنان t أن رسول الله r قال: « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» رواه مسلم(7500).

ولأحمد117/3 وابن حبان(728) عن أنس t مرفوعا: « عجبت للمؤمن إن الله تعالى لم يقض قضاء إلا كان خيرا له».

أخي الله.. إن السجن والتعذيب والتشويه ونحو ذلك من الابتلاءات شرط في حصول الكمال الإنساني والاستقامة المطلوبة.

فاصبر واحتسب فعما قليل يأتي الفرج:

خليلي لا والله ما من ملمة ... تدوم على حي وإن هي جلت
فإن نزلت يوما فلا تخضعن لها ... ولا تكثر الشكوى إذا النعل زلت
فكم من كريم قد بلي بنوائب ... فصابرها حتى مضى واضمحلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذل ذلت

ı 8. الصفح الجميل:

لقد عابوا الله وذ سبوا له الصاحبة والولد، وعابوا الرسل الكرام الذين هم صفوة الأنام، فماذا أتوقع أنا وأنت أهل التقصير والخطل؟!

أخي السجين لقد اقتضت حكمة الله وجرت سننه { وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (62)} [الأحزاب] أن تواجه في حياتك حربا ضروسا لا هوادة فيها من النقد الآثم، ومن التشويه المدروس، ومن الإهانة المتعمدة من طرف أعداء الله ما دمت على الحق، { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة 217].

إن الجالس على الأرض لا يسقط، وإن الناس لا يرفسون كلبا ميتا، لكنهم يغضبون عليك لأن فقتهم صلاحا أو علما أو أدبا أو مالا، فأنت عندهم مذنب لا توبة لك حتى تدع مواهبك ونعم الله عليك، وتنسلخ من كل معاني النبل:

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب
إن العرانين تلقاها محسدة ولا ترى للئام الناس حسادا

فاصمد واثبت لكلام هؤلاء ونقدهم وتشويههم ثبات الجبال الرواسي، { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف 35] ، كن كالصخرة الصماء المهيبة تتكسر عليها حبات الثلج لتثبت وجودها وقدرتها على البقاء، إنك إن أصغيت لهؤلاء الناعقين حققت لهم أمنيتهم الغالية في تعكير حياتك وتكدير عمرك ألا { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (85)} [الحجر].

إنهم ينشرون فضائلك من حيث لا يشعرون:

و إذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
و لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
و لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد النعمى على المحسود

سمع الشعبي إنسانا يسبه فقال: إن كنت كاذبا غفر الله لك، وإن كنت صادقا غفر الله لي.

إذا سبني نذل تزايدت رفعة وما العيب إلا أن أكون مسابيه
ولو لم تكن نفسي علي عزيزة لمكنتها من كل نذل تجاوبه

9. عدم انتظار الشكر من المخلوق:

لقد كفر كثير من الناس نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، وما ذلك إلا لأن طبيعة النفس البشرية الجحود والنكران والجفاء والكفران، {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)} [إبراهيم].

أخي السجين فلا تصدم إذا رأيت من ينكر جميلك وينسى معروفك ويجحد إحسانك، بل ربما خذلك وناصبك العداء ورماك بمنجنيق الحقد الدفين، لا لشيء إلا لأنك أحسنت إليه.

لا تتفاجأ إذا أهديت بليدا قلما فكتب به هجاءك، أو منحت جافيا عصا يتوكأ عليها فشج بها رأسك.

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

ألا فليهدأ الذين احترقت أوراق جميلهم عند منكوسي الفطرة، ومحطمي الإرادات، وليهنؤوا بعظيم المثوبة عند من لا تنفد خزائنه: {وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261)} [البقرة] اعمل الخير لوجه الله وابتغاء مرضاة الله { إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)} [الإنسان] لا يكن إحسانك مجرد مكافئة: { الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20)} [الضحى].

ولما بلوت الناس أطلب منهم أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطمعت في حالي رخاء وشدة وناديت في الأحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءني غير شامت ولم أر فيما سرني غير حاسد

ا 10. كشف كربات المسلمين يكشف كربك:

قال r : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» مسلم(6853).

أخي السجين نفس كرب الآخرين وسترى المعجزات في سرعة كشف كربك وتيسير أمرك وتفريج همك وغمك.

أخي السجين إن الجميل كاسمه والمعروف كرسمه والخير كطعمه وأول المستفيدين من إسعاد الناس هم المتفضلون بهذا الإسعاد يجنون ثمرته عاجلا في نفوسهم وأخلاقهم وضمائرهم فيجدون الانشراح والانبساط والهدوء والسكينة.

فإن طاف بك طائف هم، أو ألم بك غم، فامنح غيرك معروفا وأسد إليه جميلا تجد الفرح والراحة والطمأنينة والسعادة.

إن فعل الخير كالطيب ينفع حامله وبائعه ومشتريه..

إن توزيع البسمات المشرقة على فقراء الأخلاق صدقة جارية في عالم القيم « لو أن تلقى أخاك بوجه طليق». مسلم(2626)، وفي الحديث الآخر: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة» الترمذي (1956).

يا من تهدهم كوابيس الشقاء والفزع والخوف، هلموا إلى بستان المعروف، وتشاغلوا بالآخرين تعليما وعطاء وضيافة ومواساة وعيادة وإعانة وخدمة، وستجدون السعادة الحقيقية، قال r : « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». مسلم (6853)

وإن امرأً لم يرتج الناس نفعه ولم يأمنوا منه الأذى للئيم
وإن امرأ لم يجعل البر كنزه ولو كانت الدنيا له لعديم

قال عبدان شيخ البخاري ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي فإن تم وإلا قمت له بمالي وإلا استعنا له بالإخوان فإن تم وإلا استعنا له بالسلطان.

ı 11. ذبح الفراغ بسكين العمل:

أخي السجين لديك فراغا كثيرا فاستغل ذلك الفراغ واجعله أعمالا باقيات صالحات.

يقول r : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ». البخاري(6412).

إن أخطر حالات الذهن يوم يفرغ صاحبه من العمل فيبقى كالسيارة المسرعة في انحدار بلا سائق وظن شرا ولا تسأل عن الخبر.

إن الفراغ أشبه بالعذاب البطيء الذي يمارس في كثير من السجون بوضع السجين تحت أنبوب يقطر كل دقيقة قطرة، وفي فترات انتظار هذه القطرات يصاب السجين بأشد من الجنون!!

والراحة غفلة والفراغ لص محترف، وعقلك هـ و الفريسة الممزقة لهذه الحروب الوهمية، إذاً قم الآن وصل أو اتل أو اقرأ أو سبح أو طالع أو اكتب أو اعمل أو انفع غيرك..

أخي السجين: اذبح الفراغ بسكين العمل الصالح ونضمن لك 50% من السعادة مقابل هذا الإجراء الطارئ فحسب..

فأكثر من العمل الصالح واصبر وصابر وعند ا لصباح يحمد القوم السرى.

إني رأيت وفي الأيام تجربة   للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من وجد في شيء تطلبه   واستشعر الصبر إلا فاز بالظفر

أخي السجين بينك وبين الفائزين جـ بل الهوى، نزلوا بين يديه ونزلت خلفه فاطو فضل منزل تلحق بالقوم.

ı 12. الإيمان بالقضاء والقدر:

أخي في الله اقرأ قول الله I : {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)} [التوبة].

وقوله Y : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْض وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)} [الحديد].

وقوله r : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف» أحمد 293/1والترمذي(2516)

إن هذه العقيدة إذا رسخت في النفس صارت السجون أوسمة والبلية عطية والمحنة منحة والوقائع جوائز..

وفي الحديث: «من يرد الله به خيرا يصب منه» البخاري(5645).

ولن تهدأ أعصابك وتسكن بلابل نفسك وتذهب وساوس صدرك حتى تؤمن بالقضاء والقدر.

جف القلم بما أنت لاق، ولا تظن أنه كان بوسعك إيقاف الجدار أن ينهار، وحبس الماء أن ينسكب، ومنع الريح أن تهب، وحفظ الزجاج أن ينكسر.. ولكن قل: «قدر الله وما شاء فعل». مسلم(6774)

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

13. إن مع العسر يسرا

علمنا السجن في سبيل الله أن بعد الجوع شبع، وبعد الظمإ ري، وبعد السهر نوم، وبعد المرض عافية.. سوف يصل الغائب ويهدى الضال ويفك السجين وينقشع الظلام { فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ} [المائدة 52].

بشر الليل بصبح صادق، يصادره على رؤوس الجبال وبطون الأودية، وبشر المهموم بفرج مفاجئ يصل في سرعة الضوء ولمح البصر، وبشر المنكوب بلطف خفي وكف حانية وادعة..

إذا رأيت الصحراء تمتد وتمتد فاعلم أن وراءها رياضا خضراء وارفة الظلال.

إذا رأيت الحبل يشتد فاعلم أنه سوف ينقطع..

وفي الحديث: « واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا» أحمد 293/1والترمذي(2516).

أخي السجين اعلم أن بعد الدمعة بسمة، وبعد الخوف الأمن، وبعد الفزع السكينة والطمأنينة، فاصبر واحتسب وانتظر الفرج فإن الفرج قريب:

ادفع بصبرك حـ ادث الأيام	وترج لطف الواحد العلام
لا تيأسن وإن تضايق كربها	ورماك ريب صروفها بسهام
فله تعالى بين ذلك فرجة	تخفى على الأبصار والأفهام
كم من نجي بين أطراف القنا	وفريسة سلمت من الضرغام

لا تحزن إن رميت في النار فإنها لم تحرق إبراهيم u لأن الرعاية الربانية ف تحت نافذة { بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)} [الأنبياء]، ولا تخف ولو ألقيت في البحر، فإن موسى حفظ في البحر وهو رضيع { فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)} [القصص].

لا تحزن وإن تمالأ عليك الأعداء، فقد عصم الله محمدا r من مكر قريش لأنه قال لصاحبه: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [الأنفال].

واصدع لهم بقولة نوح عليه السلام الخالدة: { يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَـ لَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (71)} [يونس].

إن عبيد ساعاتهم الراهنة والـ ظروف القائمة لا يرون إلا النكد والضيق والتعاسة، لأنهم لا ينظرون إلا داخل الزنزانة وينسون قوله تعالى: {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)} [الشرح].

ويقول r : « لن يغلب عسر يسرين» الطبري151/30 والحاكم528/2 عن الحسن مرسلا.

أخي السجين إن وجدت أي فرصة الخروج المشرف فبادر:

كان خالد بن عبد الله حبس الكميت الشاعر فزارته امرأته في السجن فلبس ثيابها وخرج ولم يعرف فقال:

ولما أحلوني بصلعاء صيلم بإحدى زبى ذي اللبدتين أبي الشبل
خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل على رغم آناف النوابح والمشلي
علي ثياب الغانيات وتحتها عزيمة مرء أشبهت سلة النصل

ı 14. تذكر الموت:

يقول r : « تذكروا هادم اللذات فإنه ما ذكر في ضيق إلا وسعه ولا ذكر في سعة إلا ضيقها». الترمذي(2307) والنسائي(1824) .

أخي السجين إذا أغلقت عليك أبواب زنزانتك الانفرادية بعد جعل الأغلال في الأيدي والأرجل، وانقطعت من العالم كله فلا تجد خبر أهل ولا أصدقاء، ولا تسمع لأحد همسا، ولا تحس لأحد ركزا إلا السجانين، حينها تذكر الموت والقبر الذي هو أول مراحل الآخرة « وما بعده أشد منه» كما قال r (2308).

ألا فأقبل على الاستعداد لذلك القبر وأسرع ولا تسوف، وبادر إلى التوبة وصالح العمل، { فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} [البقرة 148] { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} [آل عمران 133]، { وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)} [المطففين].

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا
إذا دخل السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

I 15. علامة أفضلية العبد:

لقد جعل الله U ا لسجن والتعذيب ونحوه من أنواع الابتلاء دليلا على اصطفاء العبد وفضله عند الله I .

قال r : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل بحسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». الترمذي (2398) و ابن حبان(2901).

وقال r : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن حسن دينه اشتد بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس وما عليه خطيئة». أحمد والترمذي(2398) وصححه وابن ماجه(4023)

أخي السجين كلما اشتد الكرب وعظم الهم والغم فاقرأ بتدبر هذه الأحاديث حتى تعلم أن ذلك لك رفعة في المنزلة، وعلوا لمكانتك، ودليلا على أفضليتك عند الله تعالى، فيكون ذلك سببا لفرحك بهذا الفضل الإلهي، قال r : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، وإ ن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء». ابن ماجه(4024) بنحوه وصححه البوصيري.

I 16. السبيل لمحبة الله

من الناس من تشرئب لقدومهم الأعناق، وتشخص إلى طلعاتهم الأبصار، وتحييهم الأفئدة، وتشيعهم الأرواح، لأن الله أحبهم، وإذا أحب الله عبدا وضع له القبول في الأرض، فيصبح محبوبا عند الناس في كلامه وأخذه وعطائه وسائر تصرفاته.

أخي السجين إن من أهم أسباب محبة الله تعالى ما تتعرض له من ابتلاء بالسجن والتعذيب ونحو ذلك.

عن محمود بن لبيد أن رسول الله r قال: « إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» الترمذي(2396) وابن ماجه(4031)وصححه الألباني.

فاعمل صالحا وأخلص، فإن العامل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملا يثقله ولا ينفعه.

الدنيا مضمار سباق وقد انعقد الغبار وخفي السابق، والناس في المضمار بين فارس وراجل، وأصحاب حمر معقرة:

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار

l 17. الرفق:

أخي السجين حينما تتعرض لزبانية الطاغوت الذين يسومونك سوء العذاب ويعاملونك بكل عنف وغلظة، ستتذكر ولا بد أهمية الرفق الذي هو من أبرز صفات المؤمنين، { رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح29] { أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [المائدة 54].

وإن اللين في الخطاب والبسمة الرائعة على المحيا، والكلمة الطيبة عند اللقاء، هذه حلل منسوجة يرتديها المؤمنون السعداء المحافظون على صفة الرفق.

وفي الحديث: « إن المؤمن كالنحلة تأكل طيبا وتضع طيبا وإذا وقعت على عود نخر لم تكسر». رواه أحمد199/2وحسنه الألباني.

يقول رسول الله r : « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه». مسلم(2593).

وقال r : «الرفق ما كان في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه» مسلم(2594).

وقال r : «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» مسلم(2592).

أخي السجين لك دستور أخلاق عنوانه: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34)} [فصلت] .

فأصحاب هذا الدستور يمتصون الأحقاد بعواطفهم الجياشة وحلمهم الدافئ وصفحهم البريء، يتناسون الإساءة ويـ حفظون الإحسان، تمر بهم الكلمات النابية فلا تلج آذانهم بل تذهب بعيدا عنهم إلى غير رجعة، والناس منهم في أمن وسلام، وفي الحديث: « والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» البخاري (10)

I 18. الدعاء والتضرع:

أخي السجين حينما تكبل بالقيود وتوصد أبواب السجن عليك، وينقـ طع الرجاء من كل مخلوق فمد يديك إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، ويفزع إليه المكروب، ويستغيث به المنكوب، وتصمد إليه الكائنات، وتسأله المخلوقات، وتلهج بذكره الألسن: { أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} [النمل 62].

حينها سيأتي مدد الله I ويصل عونه ويسرع فرجه ويحل فتحه فينجي الغريق في الهموم، ويفك العاني، ويرد الغائب، ويعافي المبتلى ويأمن الخائف وينصر المظلوم ويهدي الضال ويشفي المريض ويفرج عن المكروب..

أخي السجين ظلما إن دعوتك ليس بينها وبين الله حجاب كما في الحديث: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» البخاري (1496).

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي ... محلا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ ... لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تحل وراء الليل والليل ساقط ... بأرواقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء ودونها ... إذا قرع الأبواب منهن قارع
إذا أوفدت لم يردد الله وفدها ... على أهلها والله راء وسامع
وإني لأرجو الله حتى كأنني ... أرى بجميل الظن ما الله صانع

إن دعاءك لله تعالى عبادة أخرى وطاعة عظمى زيادة على حصول المطلوب، {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر 60] {فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [غافر 65].

إن عبدا يجيد فن الدعاء حري ألا يهتم ولا يغتم ولا يقلق، كل الحبال تنصرم إلا حبله، وكل الأبواب توصد إلا بابه، { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة 186].

أخي السجين إذا ألمت بك النوائب، ونزلت بك النوازل، وادلهمت الخطوب فألهج بذكره واهتف باسمه وألظ بيا ذا الجلال والإكرام واطلب مدده واسأل فتحه ونصره لتحوز وسام النجاة والفوز في الدنيا والآخرة، واعتبر بقصة آدم فوالله ما نفعه عز {اسجدوا} ولا شرف {وعلم آدم} ولا خصيصة { لما خلقت بيدي} ولا فخر { ونفخت فيه من روحي} وإنما انتفع بذل {ربنا ظلمنا أنفسنا} فتذلل لله في الدعاء.

19. من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه:

أخي السجين المقبل على طاعة الله، إن السجن لا يفوتك إلا بعض متاع الدنيا الفانية، وقد عوضك الله في الدنيا من الطاعات ما هو خير من ذلك، ويعوضك في الآخرة من الأجور والمثوبة إن شاء الله تعالى إن صبرت واحتسبت، قال r : «إن الله U يقول: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة» البخاري(5653)

وقس على هذا المنوال فإن هذا مجرد مثال.

فلا تأسف على مصيبة فإن الذي قدرها عنده جـ نة وثواب وأجر عظيم.

إن أولياء الله المبتلين الصابرين ينوه بهم في الجنة: { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24)} [الرعد] {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)} [الزمر].

إن عمر الدنيا قصير، وكنزها حقير، { وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)} [الأعلى].

من أصيب هنا عوفي هناك، ومن تعب هنا ارتاح هناك، وفي الحديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». مسلم(2956).

أيها السجناء الصابرون ما فاتكم شيء وأنتم الرابحون.

إن السجن رسالة بين أسطرها لطف وعطف وثواب وحسن اختيار، {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)} [البقرة].

إن الله لا يمنع الـ مؤمن من شيء من الدنيا إلا آتاه أفضل منه وأنفع، ولكن لجهل الإنسان بمصالح نفسه، وجهله بحكمة ربه ولطفه، لا يدرك ذلك، فما منعه الله إلا ليؤتيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا أخرجه من هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه، وليسلك الطريق الموصلة إليه، { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62)} [الفرقان].

20. لا تشتغل بالتوافه:

أيها الأخ السجين لا يطغى على ذهنك ويستولي على تفكيرك مسألة الخروج من السجن، وتنسى ما خلقت من أجله: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)} [الذاريات].

{الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)} [البقرة].

ود أعداء الله لو اشتغلت عن مبادئك التي تدعو إليها بهذه المسألة

أسجن وقيد واغتراب وعسرة وفقد حبيب إن ذا لعظيم
وإن امرأ تبقى مواثيق عهده على كل هذا إنه لكريم

إنه ليس من شرط صحة العبادة أداؤها خارج السجن، بل هي داخله أفضل وأكثر غالبا.

لا تكن كمن همته البطن والفرج والمركب والمسكن، فتلك عملات زائفة لا تنفق في سوق الآخرة، أصحابها ليس عندهم من المقاصد العليا ما يسمون به في عالم المثل.

فكر أخي مليا في الأمر الذي تهتم به وتغتم من أجله هل يستحق هذا الجهد وذلك العناء؟!

إن أمور الدنيا أحقر من ذلك فارفع همتك إلى الدار الآخرة، اجعل الدنيا مطية للآخرة، استعد لها بالتوبة والأعمال الصالحة.

هؤلاء الصحابة الأخيار تحت الشجرة للبيعة فنالوا رضوان الله، ورجل معهم أهمه جمله ف فاتته بيعة الرضوان فكان من أهل الخسران. هكذا كل أصحاب الهمم الهابطة بل كن كما قال الشاعر:

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

وعن جابر t أن رسول الله r قال: « إن الله يحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها» الحاكم(152) وصححه .

أخي السجين: ألفت عجز العادة فلو علت بك همتك ربى المعالي لاحت لك أنوار العزائم، إنما تفاوت القوم بالهمم لا بالصور.

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

21. الذكر

أخي السجين حينما تستيقظ من آخر الليل فلا ترى إلا الأبواب الموصدة والجدران العالية في ذلك الجو الهادئ الوديع، وفي ذلك الكون الساكن المهيب، لا بد أن يدعوك ذلك إلى ذكر الله وحده.

ذكر الله تعالى هو أعظم الأعمال أجرا وأكثرها مثوبة وذخرا، قال تعالى: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (35)} [الأحزاب].

وقال r : « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله» رواه أحمد والترمذي459/5 وابن ماجه1245/2.

ذكر الله هو جنته في الأرض، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وهو طريق مختصر إلى كل فلاح، { وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45)} [الأنفال].

بذكر الله تعالى تنقشع سحب الخوف والفزع والهم والحزن، وتزول جبال الغم والكرب والأسى، فينشرح الصدر وتطمئن النفس، {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)} [الرعد].

وفي الذكر الحقيقي معاني التوكل على الله والثقة به والاعتماد عليه والإنابة إليه وحسن الظن به وانتظار الفرج منه.

فهو قريب إذا دعي، سميع إذا نودي: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة 186].

فتضرع إليه واخضع واخشع وأكثر من ذكر الله ثناء ومدحا وشكرا واستغفارا. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41)} [الأحزاب]

اذكر الله حيثما كنت وكيفما كنت، {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ} [آل عمران 191].

أحـ ي قلبك بمداومة ذكر الله قال صلى الله عليه وسلم: « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» صحيح البخاري(6407).

22. سنة الله في تناوب الأتراح والأفراح:

أخي السجين إن الدنيا منغصة اللذات كثيرة التبعات جاهمة المحيا كثيرة التلون مزجت بالنكد، وأنت منها في كبد، أراد الله لهذه الدنيا أن تكون جامعة بين الضدين.. الخير والشر والصحة والمرض والعسر واليسر..

ثمانية حتم على سائر الورى فكل امرئ تجري عليه الثمانيه
سرور وحزن واجتماع وفرقة وعسر ويسر ثم سقم وعافيه

فعش واقعك ولا تسرح مع الخيال، واقبل الحياة كما هي، وطوع نفسك لمعايشتها وسدد وقارب وخذ ما تيسر ودع ما تعسـ ر، واشكر النعم تزداد، واصبر على المصائب تزول.

أخي السجين قال ابن القيم: أين انت والطريق؟! تعب فيه آدم وناح لأجله نوح ورمي في النار الخليل وأضجع للذبح إسماعيل وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد r .

l 23.انظر إلى من هو دونك:

يربي السجن على التعزي بمن هو أشد منك في البلاء، فكلما اشتد عليك التعذيب وعظمت المحنة و ضاقت عليك الأرض بما رحبت، فالتف يمينا ويسارا هل ترى إلا مبـ تلى، وهل تشاهد إلا منكوبا، ففي كل دار نائحة، وعلى كل خد دمعة، وفي كل واد بنو سعد.

أخي السجين مصيبتك من أعظم النعم فاشكرها لله.. كم من مريض على سريره منذ أعوام عديدة.. وكم من سجين قبلك ولا يزال في السجن.. وسجن يوسف عليه السلام بضع سنين وأنت لا تصبر على بضعة أشهر؟!

وكم من أب فقد فلذة كبده، وكم من أم ثكلى وصبية أيتام، وكم من مكروب مدين ومصاب منكوب؟ تدبر هذا حتى تعلم أنك في نعم جليلة، أسوتك محمد r وضع السلا على رأسه الشريف، ودميت قدماه، وشج وجهه، وحوصر في الشعب الذي كان سجنا جماعيا حتى أكلوا ورق الشجر، وكسرت ر باعيته، ورمي عرض زوجته، وقتل سبعون من أصحابه في معركة واحدة، ومات كل أولاده وأغلب بناته في حياته، وربط الحجر على بطنه من الجوع، واتهم بالسحر والكهانة..

فالابتلاء لا بد منه لتمحيصك وتطهيرك..

قتل زكريا وذبح يحيى وهجر موسى ورمي الخليل في النار: {أَمْ حَسِبْتُ مْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)} [البقرة].

24. الاستعانة بالصلاة:

أيها الأخ السجين إذا داهمك الخوف وطوقك الحزن والغم، فبادر إلى الصلاة تجد الطمأنينة والراحة، {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة

كيف لا وهي راحته إذ كان يقول r : « أرحنا بها يا بلال» أبو داود(4985) وأحمد 394/5،

وكان يقول: « وجعلت قرة عيني في الصلاة» أحمد والنسائي(3940).

إن الصلاة كفيلة باجتياح مستعمرات الأحزان والهموم ومطاردة فلول الحسرة والاكتئاب، وحل مشاكلك ومساعدتك على كل خير وإبعادك عن كل شر، { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْ رُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت 45].

أخي السجين الخائف المتوجس، إن صلاة الخوف فرضت لتؤدي في ساعة الرعب ولحظة تطاير الجماجم لتكون أعظم أنواع التثبيت ولتضفي على المصلي رداء السكينة والوقار، ولتكون البلسم الشافي من كل خوف وفزع..

إذا جن الليل وتغالب النوم والسـ هر فالخوف والشوق في مقدم عسكر اليقظة. والكسل والتواني في كتيبة الغفلة فإذا حمل العزم على الميمنة انهزمت جنود التفريط فما يطلع الفجر إلا وقد قسمت السهمان وبردت الغنيمة لأهلها.

الأرواح في الأشباح كالأطيار في الأبراج، وليس ما أعد للاستفراخ كمن هيئ للسباق، ومن أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يوليه من العمل وبأي شغل يشغله.

أخلص العمل لله واجعله موافقا للشرع، وابن على هذا الأساس صرح أعمالك الصالحة، وإن وقع غش في أصل العمل (الإخلاص) بطل العمل:

وفي الأصل غ ش والفروع توابع وكيف وفاء النجل والأب غادر
إذا اعتلت الأفعال جاءت ع ليلة كحالاتها أسماؤها والمصادر

ا 25. الرضا بما قسم الله:

أيها السجين إنك في نعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، فالسجن لا يحرمك من طاعات، وإنما يحرمك من بعض حظوظك الدنيوية، لكنه في المقابل يفرغك لطاعة مولاك، فاشكر هذه النعمة العظيمة، {فَ خُذْ مَا آَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144)} [الأعراف] ، وإن شكرك ما أنت فيه من النعم بصرفه في طاعة الله سبب في زيادتها { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم 7].

أخي السجين انظر إلى من حرموا حظوظا دنيوية كثيرة فزادهم الله رفعة وعلو مكانة:

هذا عطاء ابن أبي رباح عالم الدنيا مولى أفطس الأنف جعد الشعر.

وهذا الأحنف بن قيس حليم العرب قاطبة كان نحيف الجسم أحدب الظهر أحنى الساقين، ضعيف البنية، متراكب الأسنان.

وهذا الأعمش محدث العالم مولى ضعيف البصر خفيف ذات اليد رث الهيئة.

فلا تبتئس على ما يفوتك من حظوظك الدنيوية بسبب سجنك في سبيل الله، واحتسب ذلك عند الله ا : { وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [القصص 60]، ومتاع الدنيا تافه مقارنة بالآخرة: {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)} [التوبة].

وفي الحديث: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم في اليم فينظر بم يرجع» مسلم(2858).

يغرك ما يفنى وتشغل بالمنى كما اغتر باللذات في النوم حالم

نهارك يا مغرور سهو وغفلة   وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيها سوف تكره غبه   كذلك في الدنيا تعيش البهائم

26. ما عند الله خير وأبقى

أخي السجين في سبيل الله إذا اشتد عليك العذاب والنكال ويئست من الفرج وأيقنت بالهلاك فتذكر أن بعد ذلك جنة عرضها السماوات والأرض، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاصبر على ذلك التعذيب وتلك الإهانة لحظات حتى تنتقل إلى تلك الجنة، فإن أهلها لا يحزنون ولا يمرضون ولا يموتون، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم، في غرف يرى ظاهرها من باطنها على الفرش المرفوعة والأرائك المصفوفة، قال I : { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة 17] وقال: {فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} [محمد 15] وقال: { وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (33)} [الواقعة] ولهم فيها الأزواج المطهرة: { إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36) عُرُبًا أَتْرَابًا (37)} [الواقعة].

ويطوف عليهم للخدمة الولدان المخلدون كأنهم اللؤلؤ المكنون، نمارقها مصفوفة وزرابيها مبثوثة، تم سرورها وعظم حبورها وفاح عرفها وكمل نعيمها {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)} [ق].

أخي السجين من يكون مصيره إلى هذه الدارلا يبالي بالسجن في سبيل الله، ولا يفكر فيما يفوته من أمر الدنيا الفانية الزائلة.

27. العدل:

حينما تسجن ظلما وعدوانا فتحرم من أبسط حقوقك، بل يعتدى على جسدك وعرضك في كل وقت وفي كل زمان، حينها لا بد أن تتذكر أهمية العدل، {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة 8].

فالعدل مطلب شرعي وعقلي، ومن أراد السعادة لا بد أن يكون عادلا في رضاه وغضبه وسروره وحزنه، لأن الشطط والمبالغة في التعامل مع

الأحداث ظلم، وما أحسن الوسطية في كل الأمور: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة 143] ، وسطية بين الإفراط والتفريط { وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)} [الفرقان].

عدل مع النفس ومع الأهل والأصدقاء كما في الحديث: « إن لنفسك عليك حقا و لأهلك عليك حقا ولزوجك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه». البخاري(6134) بنحوه.

عدل مع العدو والصديق { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا} [المائدة 2].

عدل في الحكم على الآخرين وتقويمهم، عدل في الأخلاق والسلوك، فالعدالة مطلوبة في كل شيء، اقشعرت الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة.

وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل، وشكا الكرام الكاتبون إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة ا لمنكرات، والتي من أعظمها اعتقال العلماء والدعاة، والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذن بليل بلاء قد ادلهم ظلامه، فاجتنبوا طريق هذا السيل العارم بالتوبة النصوح.

28. أهمية العلم النافع:

لقد امتن الله على نبيه r بالعلم: { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} [النساء 113]. لأن العلم نور للبصيرة وحياة للروح ووقود للطبع ورفع في المنزلة والدرجة { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة 11].

العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

أخي في الله: لا تكن من الذين يجمعون الكتب ولا يقرؤونها ويطالعونها ولا يحفظونها:

أما لو أعي كل ما أسمع وأحفظ من ذاك ما أجمع

ولم أستفد غير ما قد جمعـ ـت لقيل هو العالم المقنع
ولكن نفسي إلى كل شيء من العلم تسمعه تنزع
وأحضر بالجهل في مجلسي وعلمي في الكتب مستودع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يك في علمه هكذا يكن دهره القهقرى يرجع
إذا لم تكن حافظا واعيا فجمعك للكتب لا ينفع

كما أن العلم يورث الخشية { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر 28] فهو الطريق الوحيد إلى الجنة، قال r : « من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة» رواه مسلم(6853)

أخي السجين.. عندك فراغ كثير فاجعله في طلب العلم، وناد مع خير المرسلين: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)} [طه]. وابذل كل غال ونفيس من أجله، فمن طلب العلا سهر الليالي، وهذا نبي ا لله موسى يضحي من أجل طلب العلم، فجاع وتعب وركب السفينة المخروقة، حتى قال لغلامه: {آَتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62)} [الكهف].

وأما الجهل فموت للضمير وذبح للحياة ومحق للعمر: { إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46)} [هود] ، الجهل ملل ونكد وحسرات وهمجية وبهيمية: {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44)} [الفرقان]،

وبعد هذا: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر9].

يعد رفيع القوم من كان عالما وإن لم يكن في قومه بحسيب
وإن حل أرضا عاش فيها بعلمه وما عالم في بلدة بغريب

29. اليقين

أيها الأخ السجين الذي رباك السجن على أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وعلى أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لقد جاء رسول الله r الناس بالدعوة الربانية التي آمن بها أتبا عه عن يقين حقيقي مناف لكل شك وريب { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}

[الحجرات 15]. لذلك حوصروا في الشعب حصارا اقتصاديا واجتماعيا، وضيق عليهم حتى كادوا يموتون جوعا { وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22)} [الأحزاب].

ومنهم من أخرجوا من ديارهم وأموالهم وطردوا من مراتع صباهم وملاعب شبابهم {وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22)}.

كانوا يتسابقون إلى الموت كما يحرص غيرهم على الحياة، فقتلت الآباء وتأيمت النساء وثكلت الأمهات ورملت الزوجـ ـات فقالوا: { هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ} [الأحزاب 22].

إن اليقين الجازم بموعود الله لا يبالي صاحبه بما فاته من الدنيا فما عند الله خير وأبقى، {وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4)} [الضحى].

كما ورد في الحديث: « واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك». الترمذي(2516). وقال تعالى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38)} [الأحزاب].

30. انتظار الفرج:

عند الترمذي(3571) أنه r قال: « أفضل العبادة انتظار الفرج» وفيه مقال.

أخي السجين في سبيل الله الصبح قريب فانظر إلى الصباح وارتقب الفتح من الفتاح { وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38)} [المائدة 52] {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2)} [الطلاق] فحافظ على تقوى الله وتأكد من قرب الفرج، {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4)} [الطلاق].

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

أخي السجين لا تنظر إلى عظمة تهمتك وخطر الأحكام الصادرة في حقك، فأنت تسأل من هو {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16)} [البروج]. { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82)} [يس] ، فتوكل على الله ولا تعتمد

على سواه، واقطع الرجاء ممن عداه، وقل في آناء الليل وعند السجود: يا رباه يا ذا الجلال والإكرام خاب الأمل إلا فيك، وانقطع الرجاء إلا منك، وألح في الدعاء.. ثم تيقن بالفرج القريب: { أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)} [البقرة]. {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56)} [الأعراف]. وفي الحديث الصحيح: « واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع اليسر يسرا» الترمذي(2516).

31. الاستغفار:

تعلم أخي في الله أنك ما سجنت إلا بسبب الذنوب والمعاصي، {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)} [الشورى] { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} [آل عمران 165] { أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (34)} [الشورى 34].

وعلاج ذلك التوبة والاستغفار والاعتراف بالذنب والخضوع لله وإبدال السيئات بالحسنات، وتضرع إلى الله: « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهد ك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من ش ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» البخاري.150/7

« اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» البخاري168/8

أخي في الله أكثر من الاستغفار لترى الفرج القريب وراحة البال والسعادة الحقيقية والرزق الحلال والذرية الصالحة والغيث الغزير، {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12)} [نوح].

{ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} [هود 3]، { وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود 52] .

32. الزهد في الدنيا:

أخي السجين في سبيل الله، ها أنت محروم من الدنيا ومع ذلك فأنت في سعادة وراحة وأمن وطمأنينة، لتعلم بذلك عدم أهمية الدنيا، دخل ابن السماك الواعظ على هارون الرشيد فعطش هارون فاستسقى ماء، قال ابن السماك: لو منعت هذه الشربة يا أمير المؤمنين أتفتديها بنصف ملكك، قال: نعم، فلما شربها قال: لو منعت إخراجها أتدفع نصف ملكك لتخرج، قال: نعم، قال ابن السماك: فلا خير في ملك لا يساوي شربة ماء.

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت أن السلامة فيها ترك ما فيها
فلا الإقامة تنجي النفس من تلف ولا الفرار من الأحداث ينجيها
وكل نفس لها زور يصبحها من المنية يوما أو يمسيها

وتذكر قوله r : «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء» الترمذي (2320) وابن ماجه(4110). وقوله I : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُور (20)} [الحديد 20]، وقوله r : «ما أنا في الدنيا إلا كراكب استراح تحت ظل شجرة ثم قام وتركها». أحمد والترمذي(1936) وصحيح ابن ماجه(3317).

شهوات الدنيا كلعب الخيال ونظر الجاهل مقصور على الظاهر، فأما ذو العقل فيرى ما وراء الستر، ما مضى من الدنيا أحلام، وما بقي أماني، والوقت ضائع بينهما.

33. عدم المبالاة بالحساد

اعذر حسودك فيما قد خصصت به إن العلا حسن في مثله الحسد
إن يحسدوني فإني لا ألومهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهمُ ومات أكثرنا غيظا بما يجد
أنا الذي وجدوني في صدورهم لا أرتقي صدرا منهم ولا أرد

أخي السجين قد ينتهز فرصة سجنك بعض أصحاب الهمم الهابطة والقلوب المريضة للطعن فيك والنيل منك، فلا ترد على كلمة جارحة

فيك أو مقولة أو قصيدة، فإن الاحتمال دفع للمعايب والحلم عز والصمت يقهر الأعداء، والعفو مثوبة وشرف، ونصف الذين يقرؤون شتمك نسوه، والنصف الآخر ما قرؤوه، وغيرهم لا يدري ما السبب وما القصة!! لا ترسخ ذلك أنت ولا تعمقه بالرد على ما قيل!! قال رجل لعمرو بن العاص: لأتفرغن لحربك، قال عمرو: الآن وقعت في الشغل الشاغل.

إذا سبني نذل تزايدت رفعة ... وما العيب إلا أن أكون مسابه
ولو لم تكن نفسي علي عزيزة ... لمكنتها من كل نذل تسابه

أخي في الله إنك لا تستطيع أن تعتقل ألسنة البشرية، لكنك تستطيع أن تفعل الخير وتجتنب كلامهم ونقدهم { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34)} [فصلت].

إني نشأت وحسادي ذوو عدد ... يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
إن يحسدوني على ما كان من حسن ... فمثل خلقي فيهم جر لي حسدا

سمع أحد السلف أن شخصا سبه فجمع له هدايا كثيرة وأعطاها له، فقال: لم؟ قال: لأنك أعطيتني أغلى ما تملك وهو حسناتك فأعطيتك قليلا من متاع الدنيا.

احرص على جمع الفضائل واجتهد ... واهجر ملامة من تشفى أو حسد

وإياك أن تصدقهم فيما يقولون عن الآخرين فتقع في سوء الظن: {إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [النجم 12].

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته ... وأصبح في ليل من الشك مظلم

34. أهمية المطالعة:

أخي السجين لقد علمت أن مطالعة الكتب المفيدة من أهم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، قال الحسن اللؤلؤي: غبرت أربعين عاما ما قلت ولا بت ولا اتكأت إلا والكتاب موضوع على صدري.

وقال الجاحظ: الكتاب هو الذي إذا نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بنانك وفخم ألفاظك ونجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك، وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر مع السلام من الغرم ومن كد الطلب ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعلم..

ومن فوائد المطالعة:

1. طرد وساوس الهموم والأحزان.
2. اجتناب الخوض في الباطل.
3. الاشتغال عن البطالين وأصدقاء السوء.
4. فتق اللسان والتدريب على الفصاحة والبلاغة.
5. تنمية العقل وتجويد الذهن وتصفية الخاطر.
6. غزارة العلم وكثرة المحفوظ والمفهوم.
7. الاستفادة من تجارب الناس وحكم الحكماء واستنباط العلماء.
8. سعة الأفق ومعرفة ما يدور حولك.
9. راحة للذهن من التشتت وللوقت من الضياع.
10. الرسوخ في فهم الكلمة وصيـ اغة المادة ومقصود العبارة ومعرفة أسرار الحكمة.

l 35. الأيام دول:

قال I : { وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} [آل عمران 140]. وقال هرقل لأبي سفيان يسأله عن النبي r هل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: كيف قتالكم إياه؟ قال: الحرب بيننا وبينهم سجال ينال مـ نا وننال منه، قال: كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة». رواه البخاري(7) بنحوه.

وزار الإمام أحمد بقية بن مخلد في مرض له فقال له: يا أبا عبد الرحمن أبشر بثواب الله أيام الصحة لا سقم فيها، وأيام السقم لا صحة فيها.

فاصبر أخي السجين فأيام السجن معدودة ولا بد بعد الليل من نور الصباح، وعند الصباح يحمد القوم السرى، ولا تبتئس من فرح الأبالسة والشياطين فقد فرح إبليس بنزول آدم من الجنة، وما علم أن هبوط الغائص في البحر خلف الدر صعود، كأن الله يقول له:

يا آدم لا تجزع من قولي لك(اخرج منها) فلك ولصالح ذريتك خلقتها، يا آدم كنت تدخل علي دخول الملوك واليوم تدخل علي دخول العبيد، يا آدم لا تجزع من الابتلاء، فقد استخرجت منك داء العجب وألبستك خلعة العبودية: { فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19)} [النساء] ، يا آدم لم أخرج أقطاعك إلى غيرك، إنما نحيتك عنه لأكمل عمارته لك، ولتبعث إلى العمال نفقة {تتجافى جنوبهم} الآية، والله لو كانت الدنيا تبقى علينا ويأتي رزقنا رغدا ما كان من حق حر أن يذل لها فكيف وهي متاع يستحيل غدا.

36. لا تعتمد إلى على الله:

أخي السجين لا تتخذ مواقف تعتمد فيها على مجرد تعاطف الناس معك، فإن ذلك التعاطف له حدود لا يتجاوزها، انظر إلى الحسين بن علي ابن بنت النبي r يقتل ظلما وعدوانا، فلا تنبس الأمة ببنت شفة، بل الذين قتلوه يكبرون على الانتصار الذي أحرزوه!!!

جاؤوا برأسك يابن بنت محـ مد	متزملا بدمائه تزميلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما	قتلوا بك التكبير والتهليل

وسكن الإمام أحمد بن حنبل في السجن ثماني عشرة سنة مع التعذيب والإهانة فلم يتحرك لذلك أحد!!

وجلد الإمام مالك ومدت يداه حتى انخلع كتفاه وطيف به في المدينة فلم تتحرك المسيرات والمظاهرات!!

وأخذ ابن تيمية مأسورا وأركب البغل إلى مصر فلم تمج تلك الجموع الغفيرة التي حضرت جنازته!!

أخي السجين في سبيل الله { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان 58].

ولا تعتمد على الناس: { إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [الجاثية19].

وازهد في الدنيا ولا تغتر بها، فإنها كامرأة بغي لا تثبت مع زوج، إنما تخطب الأزواج ليستحسنوا عليها، السير في طلبها سير في أرض مسبعة، والسباحة فيها سباحة في غدير التمساح، المفروح به منها هو عين المحزون عليه، آلامها متولدة من لذاتها، وأحزانها من أ فراحها، تزخرفت بالشهوات لأعين الطماع فغض عنها الذين يؤمنون بالغيب ووقع تابعوها في بيداء الحسرات.

ı 37. لا تشغلك همومك عن هم الدين:

أخي السجين لا يشغلك الاهتمام بالخروج من السجن عن الدعوة إلى الله، فإن الدعوة موضوعها الإنسان، وهذا إمام السجناء يوسف u يمارس الدعوة إلى التوحيد من داخل السجن: { يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39)} [يوسف].

وهذا عمر بن الخطاب t بعد أن طعن يكلم الصحابة في ميراث الجد.

ودخل عليه شاب مسبل وهو يجود بآخر أنفاسه فقال عمر: ارفع ثوبك فإنه أتقى لربك وأنقى لثوبك.

وهذا سعد بن الربيع t يقول يوم أحد وهو مضرج بدمائه في آخر رمق يقول للصحابة: « لا عذر لكم عند الله إن قتل رسول الله r وواحد منكم حي». الموطأص 371

ودخل الفقيه أبو الحسن علي بن عيسى على أبي ريحان البيروني (ت449هـ) وهو يجود بنفسه وقد حشرجت روحه وضاق بها صدره، لكن

ذلك لم يشغله عن طلب العلم فسأله عن حساب الجدات الفاسدة!! أي في الميراث.

أخي السجين اتل وتعلم واعمل وادع وامر بالمعروف وانه عن المنكر ولا تبال بما يقولون ولا تستمتع إلى ما به يحكمون { فَالْحُكْمُ لِلَّهِ} [غافر 12] وليس لهم من الأمر شيء، واشغل العمر بالطاعة إلى آخر لحظة.

l 38. لكل شيء أجل:

قال I : {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)} [القمر]. وقال Y : {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34)} [الأعراف].

وقال r : « واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف». أحمد 293/1والترمذي(2516).

ففي هذا عزاء للجبناء الذين يموتون مرات كثيرة قبل الموت الذي كتب عليهم.

فاشتغل بما خلقت له من العبودية لله ولا تشتغل بما خلق لك من أمور الدنيا ومتاعها.

إن سنة الله أن من تعلق بشيء من أمر الدنيا وكل إليه، فكان سبب شقائه وعذابه، ففرعون في المنصب، وقارون في المال، وهامان في الوزارة، وأبي بن خلف في التجارة، والوليد في الولد، وأبو جهل في الجاه، وأبو لهب في النسب، وأبو مسلم الخراساني في السلطة، والمتنبي في الشهرة، وابن تومرت في الإمارة، والحجاج بن يوسف في العلو في الأرض..

فلا تتعلق إلا بالله مهما سجنت وعذبت، ولا تطلب الفرج إلا من الله فهو الذي يملكه وحده، واصبر قليلا على كيد الكائدين وظلم الظالمين وسطوة الجبارين فإن السوط سيسقط والقيد سينكسر والظلام سينقشع.

إذا خرجت من عدوك لفظة سفه فلا تلحقها بمثلها تلقحها، ونسل الخصام نسل مذموم، إذا اقتدحت نار الانتقام من نار الغضب ابتدأت بإحراق القادح، أوثق غضبك بسلسلة الحلم فإنه كلب إن أفلت أتلف.

39. الحلم:

وقعت فتنة بين قبيلتين في الكوفة بالمسجد الجامع حتى سلت السيوف من أغمادها وكادت الرؤوس تسقط عن أجسادها، فذهب رجل إلى الأحنف بن قيس فوجده في بيته يحلب غنمه عليه كساء لا يساوي عشرة دراهم، فأخبره الخبر فقال: خيرا إن شاء الله، ثم قدم له إفطاره فإذا هو كسرة من الخبز اليابس وزيت وملح وكأس ماء، فسمى وأكل وحمد الله ثم قال: بر من بر العراق وزيت من الشام مع ماء دجلة وملح مرو، إنها لنعم جليلة، ثم لبس ثوبه وأخذ عصاه فلما دخل على تلك الجموع اشرأبت إليه الأعناق وأنصتوا لما يقول، فارتجل كلمة صلح ثم طلب من الناس التفرق، فذهب كل أحد إلى بيته وخمدت الفتنة واصطلح الناس.

إذا شئت يوما أن تسود عشيرة فبالحلم سد، لا بالتسرع والشتم
وللحلم خير - فاعلمن- مغبة من الجهل، إلا أن تشمس من ظلم

إن العظمة ليست بالأبهة والمظاهر، وإن قلة ذات اليد ليست دليل الشقاء، كما أن السعادة ليست بكثرة الأشياء.

وهذه الخنساء لما استشهد أبناؤها الأربعة حمدت الله وشكرته على حسن الصنيـ ـع ولطيف الاختيار، لأن هناك معينا من الإيمان ورافدا من اليقين، فمثلها تشكر فتؤجر وتسعد في الدنيا والآخرة.

ومات لأبي ذؤيب ثمانية أبناء في الطاعون فاستسلم لقضاء الله وقال:

وتجلـ ـدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وكان قيس بن عاصم محتبيا يكلم قومه فأتاه رجل فقال: قتل ابنك الآن قتله ابن فلانة، فما حل حبوته ولا قطع كلامه حتى أتمه ثم قال: اغسلوا ابني وكفنوه ثم آذنوني بالصلاة!!

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعدا　　وخيرت أنى شئت، فالحلم أفضل
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفا　　ولم يرض منك الحلم فالجهل أفضل

ا 40. السجن تمحيص للمؤمنين:

أخي السجين إن كل الابتلاءات التي يتعرض لها المؤمن تمحيص له وتنقية للجسد الإيماني، قال ا : { وَلِيُمَحِّصَ اللَّ هُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141)} [آل عمران].

إنما يتعرض له المؤمن من ابتلاء أربعة أنواع: لأنه إما أن يكون في النفس أو المال أو العرض أو الأهل، وإما أن يكون بالتلف أو ما دونه.

وأشد المصيبة في النفس بالموت فإذا كان ذلك في سبيل الله فهي أشرف الموتات وأفضلها وأيسرها.

وكذلك في المال، فمن بـ خل به في سبيل الله سلبه إياه وقيضه لإنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أخرى.

وكذلك من ضن ببدنه وعرضه وآثر راحته على التعب في طاعة الله أتعبه الله أضعاف ذلك في المعصية.

واعتبر بذلك في حال إبليس حين تكبر عن السجود صار ذليلا راكعا ساجدا خادما لأهل الفجور والعصيان.

قال بعض السلف: من امتنع أن يمشي مع أخيه خطوات في حاجته أمشاه الله أكثر منها في غير طاعته.

فاشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة والثمن موجود والبضائع رخيصة وستأتي على تلك السوق والبضائع يوم لا تحصل فيها على قليل ولا كثير، ذلك يوم التغابن: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ} [الفرقان 27].

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى　　وأبصرت يوم الحشر من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله　　وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

ا 41. الكسب الحلال:

أخي السجين عندما تصبح أسير زنزاد تك ممنوعا من كل كسب حينها ستعرف أهمية الكسب الحلال.

إن الإسلام يدعو إلى الكسب الشريف لتستغني به عن الآخرين وتحفظ به ماء وجهك، يقول r: «لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه». البخاري(1473)بنحوه.

وعن المقدام عن النبي r قال: « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده». البخاري(2072).

اجمع نقودك إن العز في المال واستغن ما شئت عن عم وعن خال

أخي في الله إذا دعاك أهل الكسل والبطالة إلى ترك الكسب، أو دعتك نفسك إلى التكبر عن بعض الأعمال المباحة فتذكر سيرة خير الخلق أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

قال r: « ما بعث الله نبيا إلا وقد رعى الغنم، قالوا حتى أنت يا رسول الله؟ قال: نعم كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط». البخاري(2262)

وعن أبي هريرة t أنه r قال: « كان زكريا عليه السلام نجارا» مسلم(2379) وكان داود عليه السلام حدادا، { وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ} [سبأ].

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأدنين كلا وأوشكت صلات ذوي القربى له أن تنكرا

إن أعظم زاد تحصل عليه هي القناعة فإنها كنز لا ينفد، { وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [طه 131] وقال r: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» البخاري (6446)ومسلم(1051)

إن الفكرة التي تدعو إلى ترك الكسب والاعتماد على الغير إنما هي فلسفة منقولة عن عباد الهنود ورهبان النصارى وجهلة المتصوفة.

ومن يفتقر في قومه يحمد الغنى وإن كان فيهم واسط العم مخولا
ويزري بعقل المرء قلة ماله وإن كان أسرى مـ ن رجال وأ حولا

42. الإعراض عن المرجفين:

أخي السجين إن الوعود الكاذبة والإرهاصات الخاطئة والمعلومات المغلوطة التي تنشرها الاستخبارات من حين لآخر إنما هي تخويف من هؤلاء الشياطين: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)} [آل عمران].

إن الهدف من ذلك إربابك وإضاعة الوقت عليك والتلاعب بعواطفك وبعواطف الآخرين.

فلا تسمع لتلك الأراجـيـ ف واشتغل بالطاعات: تلاوة وصلاة وتعلما وذكرا.. { فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} [النساء 63]، { فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (85)} [الحجر]، { فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ} [الزخرف 89]، { فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29)} [النجم].

إن كلمات اللؤماء والشامتين المتسلقين على أعراض الناس لا تضر ولا تهم ولا يمكن أن يلتفت إليها مسلم أو يبالي بها شجاع.

وإني لأقترح عليك أن تعفو عنهم عفوا شاملا تاما كاملا حتى تسلم من مرض التشفي والانتقام والحقد وتنال الأجر العظيم، { وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)} [آل عمران]، { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى 40] ، وليكن شعارك: { لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} [يوسف 92]، {عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ} [المائدة 95].

43. التفكر في آيات الله:

أخي السجين إن فراغك في السجن ينبغي أن يكون سببا لتدبرك لآيات الله المبثوثة في الكون.

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ} [البقرة 164]، وقوله I : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)} [آل عمرن]، { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)} [الغاشية].

حاول أن يكشف عنك السجن غطاء ا لتعود فترى عظيم مخلوقات الله بعين التأمل في آيات الله في الكون من حولك وفي نفسك، {الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)} [الانفطار]، {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)} [طه].

أخي:

هان سهر الحراس لما علموا أن أصواتهم بسمع الملك.

من لاح له حال الآخرة هان عليه فراق الدنيا.

إذا لاح للباشق الصيد نسي مألوف الكف.

يا أقدام الصبر احملي بقي القليل.

تذكر حلاوة الوصال يهن عليك مر المجاهدة.

قد علمت أين المنزل فاحد لها تسر.

44. لا تغضب:

عن أبي هريرة أن رجلا قال لرسول الله r : أوصني: قال: «لا تغضب» فردد مرارا، قال: «لا تغضب». البخاري519/10.

وقال r : « ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذ ي يملك نفسه عند الغضب» البخاري518/10ومسلم(2609).

كان ابن عون لا يغضب، فإذا أغضبه إنسان قال: بارك الله فيك.

وكان عون بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على غلامه قال: ما أشبهك بمولاك، أنت تعصيني وأنا أعصي الله، فإذا اشتد غضبه قال: أنت حر لوجه الله.

ولو رأى الغضبان قبح هيئته واحمرار عينيه وانتفاخ أوداجه وتجهم محياه وتقضب وجهه لما غضب أبدا.

ولم أر فضلا تـ م إلا بشيمة ولم أر عقلا صح إلا على الأدب
ولم أر في الأعداء حين ا ختبرهم عدوا لعقل المرء أعدى من الغضب

وإن الغضب من الشيطان ويكفيه ذما أن صاحبه يتكلم بما لا يحب ويفعل ما لا يريد، كالمجنون، ولذلك أمره r أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، كما في البخاري6/337 ومسلم(2610).

أخي في الله جاهد نف سك على ترك الغضب للنفس، أما الغضب لله إذا انتهكت محارمه فمن أعظم القربات، قال تعالى: { وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37)} [الشورى] ، واكظم غضبك واعف عمن أغضبك: { وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)} [آل عمران].

وكظمي الغيظ أولى من محاولتي غيظ العدو بإضراري بإيماني
لا خير في الأمر ترديني مغبته يوم الحساب إذا ما ضر ميزاني

إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعوائد من تركها لغير الله، فأما من تركها صادقا مخلصا من قلبه لله فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة ليمتحن أصادق هو في تركها أم كاذب فإن صبر على تلك المشقة قليلا استحالت لذة، قال ابن سيرين: سمعت شريحا يحلف بالله ما ترك عبد لله شيئا فوجد فقده .

وفي الحديث: « إنك لن تدع شيئا لله U إلا بدلك الله به خيرا لك منه». أحمد5/78 وقال الهيثمي10/385: ورجاله رجال الصحيح.

هي النفس ما حملتها تتحمل وللدهر أيام تجور وتعدل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأفضل أخلاق الرجال التفضل
فلا غرو إن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول التجمل

l 45. السجن يكفر الذنوب:

أخي السجين في سبيل الله اصبر واحتسب فإن السجن وغيره من الابتلاءات تكفير للسيئات ورفع للدرجات.

قال l : { فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} [آل عمران 195].

قال r : « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عنه من خطاياه»البخاري(5641).

وقال r : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» أحمد والترمذي(2399).

وقال r : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه وما عليه خطيئة» والترمذي(2398) وصححه ابن حبان(2901)

l 46. سجنان لا بد منهما:

أخي المؤمن إن طالب الله والدار الآخرة لا بد له من سجنين سجن نفسه في طلبه ومطلوبه، وحبسها عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانه عما لا يفيد وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات وحبسها على الواجبات والمندوبات، فلا يفارق الحبس حتى يلقى الله فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين وفر منهما إلى فضاء الشهوات أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا.

فكل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إليه قال r : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». مسلم(2956).

صاح بالصحابة واعظ اقترب للناس حسابهم، فجزعت للخوف قلوبهم وجرت من الحذر العيون {فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} [الرعد 17].

تزينت الدنيا لعلي فقال: أنت طالق ثلاثا لا رجعة لي فيك، وكانت تكفيه واحدة للسنة لكنه جمع الثلاث لئلا يتصور الهوى جواز المراجعة.

ودع ابن عون رجلا فقال: عليك بتقوى الله فإن المتقي ليس عليه وحشة.

قال زيد بن أسلم: كان يقال: من اتقى أحبه الناس وإن كرهوا،

وقال الثوري لابن أبي ذئب: إن اتقيت الله كفاك وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك شيئا.

I 47. إن النصر مع الصبر:

أخي السجين لما خرج رسول الله r من حصر العدو ودخل في حصر النصر فبعث سراياه بالنصر في الأطر اف، فطار ذكره في الآفاق، فصار الناس على ثلاثة أقس ام، مؤمن به ومسالم له وخائف منه فألقى بذر الصبر في مزرعة: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف 35] فإذا أغصان النبات تهتز في روضة: { وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ} [البقرة194]، فدخل مكة دخولا ما دخله أحد قبله ولا بعده، حوله المهاجرون والأنصار، لا يبين منهم إلا الحدق، والملائكة على رؤوسهم، فلما قايس بين هذا اليوم وبين يوم {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الأنفال 30] دخل وذقنه تكاد تمس قربوس سرجه خضوعا لمن ألبسه ثوب هذا العز.

وعلا كعب بلال فوق الكعبة بعد أن كان يجر في الرمضاء على جمر الفتنة فنشر بزا طوي عن القوم من يوم " أحد أحد" ورفع صوته بالأذان فأجابته القبائل من كل ناحية فأقبلوا يؤمون الصوت فدخلوا في دين الله أفواجا فلما تكامل نصره عليه الصلاة والسلام وأدى أمانته، وجاء منشورا: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1)} [الفتح]، وبعد توقيع { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ} [النصر 1] فلبى النداء واختار الرفيق الأعلى.

48. الأعمال بالخواتيم:

أخي المؤمن احذر من الذنب فإن الله لعن إبليس وأهبطه من منزل العز بترك سجدة واحدة، وأخرج آدم من الجنـ ـة بلقمة تناولها وحجب القاتل بعد أن رآها عيانا بملء كف من دم وأمر بقتل الزاني بأبشع القتلات بسبب إيلاج قدر أنملة فيما لا يحل، وأمر بإشباع الظهر سياطا بكلمة قذف أو قطرة سكر وأبان عضوا من أشرف الأعضاء على ربع دينار فلا تأمنه أن يحبسك في النار على معصية واحدة ولا يخاف عقباها وفي الحديث: «دخلت امرأة النار في هرة». البخاري(3318).

والعمر بآخره والعمل بخاتمة من أحدث قبل السلام بطلت صلاته، ومن أفطر قبل الغروب ذهب صيامه ضائعا.

قال r : «إنما الأعمال بالخواتيم» البخاري 330/11 وفي الحديث: « وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها».البخاري 486/11

قال سفيان بن عيينة لا تأتون بمثل مشهور للعرب إلا جئتكم به من القرآن فقال له قائل: أعط أخاك تمرة فإن لم يقبل فأعطه جمرة فقال قوله: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا} [الزخرف 36].

49. احذر النفس {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}:

أخي في الله احذر النفس فإن فيها كبر إبليس وحسد قابيل وعتو عاد وطغيان ثمود وجرأة نمرود واستطالة فرعون، وبغـ ـي قارون وقحة هامان وهوى بلعام وحيل أصحاب الـ سبت وتمرد الوليد وجهل أبي جهل وفيها من أخلاق البهائم حرص الغـ ـراب وشره الكلب ورعونة الطاووس ودناءة الجعل وعقوق الضب وحقد الجمل ووثوب الفهد وصولة الأسد وفسق الفأرة وخبث الحية وعبث القرد وجمع النملة ومكر الثعلب وخفة الفراش ونوم الضبع.. غير أن المجاهدة تذهب ذلك فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجند ولا تصلح سلعته لعقد { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم}

فما اشترى إلا سلعة هذبها الإيمان فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابدون.

أخي في الله سلم السلعة قبل أن تتلف في يدك فلا يقبلها المشتري قد علم بعيب السلعة فسلمها من الرد.

أخي السجين احذر نفسك فما أصابك بلاء قط إلا منها، ولا تهادنها فوالله ما أكرمها من لم يهنها ولا أعزها من لم يذلها ولا جبرها من لم يكسرها ولا أراحها من لم يتعبها ولا أمنها من لم يخوفها ولا أفرحها من لم يحزنها.

جمع فيك عقل الملك وشهوة البـ هيمة وهوى الشيطان وأنت للغالب عليك من الثلاثة.

إن غلبت شهوتك وهواك ز دت على مرتبة ملك، وإن غلبك هواك وشهوتك نقصت عن مرتبة الكلب.

50. القناعة:

تقنع بالكفاف تعش رخيا ولا تبغ الفضول من الكفاف
ففي خبز القفار بغير أدم وفي ماء الفرات غنى وكاف
وفي الثوب المرقع ما يغطي به من كل عري وانكشاف
وكل تزين بالمرء زين وأزينه التزين بالعفاف

أخي السجين حينما تنفرد في زنزانتك عن كل الأنام راضيا بما فيها من زهيد الطعام والفراش الحقير واللباس المتواضع، ثم تلجأ إلى الله حينها تحس بالسعادة والغنى عن الناس والافتقار إلى الله وحده.

إذا انقطعت أطماع قلب من الورى تعلق بالرب الكريم رجاؤه
فأصبح حرا عزة وقناعة على وجهه أنواره وضياؤه
وغن علقت بالخلق أطماع نفسه تباعد ما يرجو وطال عناؤه
فلا ترج إلا الله للخطب وحده وقد صح في خلف الصفاء صفاؤه

وفي الحديث: « ليس الغنى عن كثرة العرض و لكن ا لغنى غنى النفس». البخاري(6446)ومسلم(1051)

إن الذي ينزع ثوب القناعة سيظل يلهث حول حكام الدنيا في شره بهيمة وكان كالذي يأكل ولا يشبع.

لا تضرعن لمخلوق على طمع فإن ذلك وهن منك بالدين
واسترزق الله رزقا من خزائنه فإنما هو بين الكاف والنون

إن القناعة أعظم كنز في هذه الدنيا، ارض بأهلك وعملك ومركبك ومواهبك وبكل ما أعطاك الله تجد السعادة والطمأنينة وراحة البال.

تقنع بما يكفيك والتمس الرضى فإنك لا تدري أتصبح أم تمسي
فليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس

الفراهيدي بالمال إن ذهب إليه قال له:

أبلغ سليمان أني عنه فـ ي سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحا بنفسي إني لا أرى أحدافالرزق يموت هزلا ولا يبـ قى على حال
عن قدر لا الضعف يمنعه ولا يزيدن فيه حول محتال
والرزق يغشى أناسا لا طباخ لهم كـ السيل يغشى أصول الديدن البالي
كل امرئ بسبيل الموت مرتهن فاعمل لبالك إني شاغل بالي
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

أخي السجين الذي تتعرض للاستجواب والمساءلة من طرف غلاظ الأفئدة حاسب نفسك قبل أن تحاسب وتذكر بذلك الحساب الأخطر يوم العرض الأكبر، تذكر قوله I : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)} [النساء]، وقال Y : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5)} [آل عمران].

تذكر شهادة الله عليك يوم القيامة: { وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)} [النساء 79]. وشهادة الملائكة: { وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21)} [ق]. وشهادة الأرض: { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4)} [الزلزلة]. وشهادة الجوارح: { يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24)} [النور] ، وشهادة كتاب الأعمال: {وَ وُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى

الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} [الكهف 49].

حاسب نفسك وحدد لها وقتا معينا تحاسبها فيه كل يوم ثم في كل أسبوع وثم في كل شهر....

استفد من نقد الآخرين قال الحسن البصري المسلم لنفسه أشد محاسبة لنفسه من الشريك لشريكه.

وكان الربيع بن خيثم يكتم كلامه من الجمعة إلى الجمعة، فإن وجد حسنة حمد الله وإن وجد سيئة استغفر الله.

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غدا للناظرين قريب

I 52. التهجد:

أخي السجين لديك فرصة سانحة للتعود على قيام الليل فلا تضيع الفرصة فإن الفرص لا تتكرر واعلم أن التهجد من صفات عباد الرحمن {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64)} [الفرقان]، { كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17)} [الذاريات]، { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [السجدة 16] وقال I : {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَا فِلَةً لَكَ} [الإسراء 79]. وقال r : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة لله تعالى ومنها ة عن الإثم وتكفير للسيئات». والترمذي(3549) وابن خزيمة(1135) والحاكم308/1.

وقال r : «أفش السلام وأطعم الطعام وصل الليل والناس نيام وادخل الجنة بسلام»الترمذي (1854) بنحوه.

وقيل للحسن البصري: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال: إنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره.

وقال سليمان الداراني أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحبت البقاء.

عن المغيرة عن إبراهيم النخعي في الرجل يرى الضوء بالليل قال: هو من الشيطان، لو كان هذا فضلا لأوثر به أهل بدر.

إن الصلاة شأنها عظيم ففيها تفريغ القلب وتقويته وشرحه وابتهاجه وفيها اتصال الروح والقلب بالله وقربه والتنعم بذكره واستعمال جميع البدن في عبوديته وإعطاء كل عضو حظه منها وراحته من عدوه حالة الصلاة وهي منهاة عن الإثم ودافعة لأدواء القلب ومنورة للقلب ومبيضة للوجه ومنشطة للجوارح وجالبة الرزق وحافظة للنعم ودافعة للنقم.

I 53. التضحية:

أخي السجين في سبيل الله لقد بعت نفسك لله { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ} [البقرة]، قال الحسن البصري: "لا تجعل لنفسك ثمنا غير الجنة، فإن نفس المؤمن غالية وبعضهم يبيعها برخيص".

{ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة 111]، فقدم نفسك رخيصة لوجه الله I وانظر إلى سحرة فرعون يقولون بعد إيمانهم في تحد لفرعون: { لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72)} [طه]، إنها كلمة حق عند سلطان جائر.

ورسول الله r يقول: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» وأبو داود(4344) والترمذي(2174) وابن ماجه(4011).

ويقول خبيب بن عدي t وقد قدم إلى حبل المشنقة:

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

وهذا حبيب بن زيد الأنصاري t قطعه م سيلمة الكذاب عضوا عضوا وهو ثابت على الحق صابر مصابر صادع بالحق.

وكذلك سعيد بن جبير صدع للحجاج بالحق حتى أضجعه وذبحه وهو صابر محتسب.

والإمام النابلسي يصفع العبيدين بمر الحق فأمروا يهوديا فسلخه وهو يقرأ القرآن حتى فاضت روحه إلى بارئها.

والشهيد سيد قطب يقول لـ من طلب منه الاعتذار للطاغية لإطلاق سراحه إن الأصبع الذي يشير لله بالوحدانية لا يمكن أن يكتب لطاغية اعتذارا.

{ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146)} [آل عمران].

إن الله يحب المؤمن الذي يتحدى أعداء الله بصبره وجلده وصموده وثباته لا يضعف ولا يستكين للذلة والمهانة.

إذا هم لم يردع كريمة همه ... ولم يأت ما يأتي من الأمر هائبا
أخا غ مرات لا يريد على الذي ... يهم به من مقطع الأمر صاحبا
إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في رأيه غير نف سه ... ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

54. شؤم المعاصي:

أخي في الله إياك والمعاصي فإنها أنزلت عز {واسجدوا} وأخرجت إقطاع {اسكن} يا لها لحظة أثمرت حرارة القلق ألف سنة ما زال يكتب بدم الندم سطور الحزن في قصص يرسلها مع أنفاس الأسف حتى جاءه توقيع {فتاب عليه}.

أخي في الله من شؤم الذنب أن يحرم من العلم النافع والرزق الطيب ويؤدي إلى الوحشة بين العاصي وبين ربه وإلى تعسير أموره وإلى ظلمة

القلب والحرمان من الطاعة والهوان والذلة والصغار وف ساد العقل واستحقاق اللعنة وظهور الأمراض والتخبط والفساد والغلاء والزلازل والخسف والمسخ وإزالة النعم وعمى القلب ومحق البركة..

أخي في الله شهوات الدنيا كلعب الخيال ونظر الجاهل مقصور على الظاهر، فإما ذو العقل فيري ما وراء الستر.

لاح لهم المنتهي فلما مدوا أيدي التناول بان لأبصار البصائر خيط الفخ فطار بأجنحة الحذر.

تلمح القوم الوجود ففهموا المقصود فأجمعوا الرحيل قبل الرحيل وشمروا للسير في سواء السبيل فالناس مشتغلون بالفضلات وهم في تحصيل الحسنات وعصافير الهوى في وثاق الشبكة ينتظرون الذبح.

l 55. أهمية الصدق:

قال الله I : { هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} [المائدة 119]، وقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)} [التوبة] وقال: { فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (21)} [محمد].

وقال r : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» متفق عليه واللفظ لمسلم(6639).

كم من حسيب كريم كان ذا شرف قد شابه الكذب وسط الحي إن عمدا
وآخر كان صعلوكا فشرفه صدق الحديث وقول جانب الفندا
فصار هذا شريفا فوق صاحبه وصار هذا وضيعا تحته أبدا

أخي في الله أول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده ثم يسري إلى الجوارح فيفسد أعمالها فيعم الكذب أقواله وأعماله وأحواله، فيستحكم عليه الفساد ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلها الصدق، وأصل

أمراض القلوب كلها الكذب، والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق ولا استجلبت مفاسدها ومضارهما بمثل الكذب

وفي الحديث: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة» الترمذي(2518).

أخي لا تكذب من أجل التفريج عنك ففرج الله أقرب:

يضيق صدري بغم عند حادثة ... وربما خير لي في الغم أحيانا
ورب يوم يـ كون الغم أوله ... وعند آخره روح وريحانا
ما ضقت ذرعا بغم عند نائبة ... إلا ولي فرج قد حل أو حانا

56. الزهد في الثناء:

أخي في الله:

قال ابن القيم: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع في ما عند الناس إلا كما يجتمع الما ء والنار والضب والحوت، فإذا حدثتك نفسك بطلب الإخلاص فاقبل على الطمع أولا فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهدعشاق الدنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإ خلاص، فإن قلت: ما الذي يسهل علي ذبح الطم ع والزهد في الثناء والمدح قلت أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقينا أنه ليس من شيء يطمع فيه إلا بيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتي العبد منها شيئا سواه وأما الزهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إلا الله وحده فازهد في مدح من لا يزينك مدحه وفي ذم من لا يشينك ذمه وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه..

ولن يقدر على ذلك إلا بالصبر واليقين فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البحر بغير مركب قال تعالى: { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24)} [السجدة].

57. آثار الطاعة:

أخي في الله إن فعل الطاعة سبب للمروءة وصون العرض وحفظ الجاه وصيانة المال الذي جعله الله قواما لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق وجواز القول بينهم وصلاح ا لمعاش وراحة البدن وقوة القلب وطيب النفس ونعيم القلب وانشراح الصدر والأمن من الفساق والفجار وقلة الهم والغم والحزن وعز النفس وصون نور القلب وتيسير الرزق من حيث لا يحتسب وتيسير الأمور وتسهيل الطاعة وتيسير العلم والانتفاع به وحصول الثناء الحسن في الناس والدعا ء له والحلاوة التي يكتسبها وجهه، والمهابة التي تلقى له في قلوب الناس وانتصارهم وحميتهم له إذا أوذي وظلم وذبهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب وسرعة إجابة دعائه وزوال الوحشة التي بينه وبين الله وقرب الملائكة منه وبعد شياطين الإنس والجن عنه وتنافس الناس على خدمته و قضاء حوائجه وذوق حلاوة الطاعة ودعاء حملة العرش له ومن حوله من الملائكة والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته وحصول محبة الله له.

فهذه في الدنيا وأما إذا مات فإن الملائكة تتلقاه بالبشرى من ربه بالجنة والأمن من كل المخاوف والأحزان، وينتقل من سجن الدنيا وضيق ها إلى روضة من رياض الجنة ينعم فيها إلى يوم القيامة حيث ينتقل إلى جنات النعيم المقيم.

تخير قرينا من فعالك إنما	يزين الفتى في القبر ما كان يفعل
فإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن	بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلا بد بعد القبر من أن تعده	ليوم ينادى المرء فيه ويسأل
فلن يصحب الإنسان من قبل موته	ولا بعده إلا الذي كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله	يقيم قليلا بينهم ثم يرحل

58. رب نعمة في ثوب نقمة:

من الآفات الخفية أن يكون العبد في نعمة أنعم الله بها عليه واختارها له فيملها ويطلب الانتقال منها إلى ما يزعم بجهله أنه خير له منها وربه برحمته لا يخرجه من تلك النعمة ويعذره بجهله وسوء اختياره

لنفسه حتى إذا ضاق ذرعا بتلك النعمة وسخطها وتبرم منها واستحكم ملكه لها سلبه الله إ ياها، فإذا انتقل إلى ما طلبه رأى التفاوت فيما كان فيه وما صار إليه اشتد ندمه وطلب العودة إلى ما كان فيه، فإذا أراد الله به خيرا ورشدا أشهده أن ما هو فيه نعمة من نعم الله عليه ورضاه بها ووفقه لشكرها، فإذا حدثته نفسه بالانتقال عنها استخار ربه استخارة جاهل بمصلحته عاجز عنها مفوض إلى الله طا لب منه حسن اختياره له وليس على العبد أضر من ملله لنعم الله فإنه لا يراها نعمة وهو ساع في ردها بجهده، وكم نعمة وصلت إليه وهو ساع في دفها وإزالتها بظلمه وجهله { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد 11] وليس للنعم أعدى من نفس العبد فهو مع عدوه ظهير على نفسه فعدوه يطرح النار في نعمه وهو ينفخ فيها فإذا اشتد ضرامها استغاث من الحريق وكان غايته معاتبة الأقدار:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

59. الجمال:

أخي في الله الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع منه ما يحمد ومنه ما يذم ومنه مالا يلحقه مدح ولا ذم.

فالمحمود ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له كما كان النبي r يتجمل للوفود والجمعة والعيد وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال فإن ذلك محمود وإذا تضمن إعلاء كلمة الله وإظهار آثار نعمه كما في الحديث: « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده». رواه الترمذي(2819) ، {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)} [الضحى].

والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات المحرمة وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه، فإن كثيرا من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُ عْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ} [المنافقون 4]. وفي الحديث: «تعس عبد الخميلة تعس عبد الخميصة». البخاري(2886).

وأما ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا من هذين القصدين وتجرد عن الوصفين: عن ابن مسعود عن النبي r قال: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال: « إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس». مسلم(91)والترمذي (1999).

وعن أبي هريرة t أن رجلا جميلا قال: يا رسول الله حبب إلي الجمال وأعطيت منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوقني أحد إما قال بشراك نعله وإما قال: بشسع نعله، أفمن الكبر ذلك، قال: « لا ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس». أبو داود(4092) والحاكم 181/4 وصححه.

60. آثر ما يبقى على ما يفنى:

أخي في الله ابتعد عن المحرمات فإن اللذة المحرمة ممزوجة بالقبح حال تناولها ومثمرة للألم بعد انقضائها، فإذا اشتدت الدا عية منك إليها ففكر في انقطاعها وبقاء قبحها وألمها، ثم وازن بين الأمرين وانظر ما بينهما من التفاوت.

والتعب في الطاعة ممزوج بالحسن مثمر للذة والراحة، فإذا ثقلت على النفس ففكر في انقطاع تعبها وبقاء حسنها ولذتها وسرورها ووزان بين الأمرين وآثر الراجح على المرجـ وح وإذا تألمت بترك اللذة المحرمة فانظر إلى الألم الذي يعقبه ووازن بين الألمين وخاصة العقل تحصيل أعظم المنفعتين بتفويت أدناهما واحتمال أصغر الألمين لدفع أعلاهما وهذا يحتاج إلى علم بالأسباب ومقتضياتها وإلى عقل يختار به الأولى والأنفع له منهما، فمن وفر قسمه مـ ن العقل والعلم اختار الأفضل وآثره ومن نقص حظه منهما أو من أحدهما اختار خلافه ومن فكر في الدنيا والآخرة علم أنه لا يصيب أحدهما إلا بمشـ قة فليحتمل المشقة لخيرهما وأبقاهما.

وفي الحديث: « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى». أحمد412/4 وابن حبان (709).

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأ مور ليس يدركها ف النفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر

61. الإنابة:

أخي في الله الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله r .

ومن لم يعتكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة كما قال إمام الحنفاء لقومه: { مَا هَذِهِ الـ تَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52)} [الأنبياء] والتماثيل جمع تمثال وهو الصور الممثلة، فتعلق القلب بغير الله واشتغاله به والركون إليه عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام ولهذا قال r : « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» البخاري(2887).

أخي المنيب الناس في هذه الدنيا على جناح سفر كلهم وكل مسافر فهو ظاعن إلى مقصده ونازل بمن يسير بالنزول عليه وطالب الدار الآخرة إنما هو ظاعن إلى الله في حال سفره ونازل عند القدوم عليه.

إذا اشتملت على ا ليأس القلوب وضاق بها الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث يمن به القريب المستجيب
وكل الحادثات وإن تناهت فموصول بها فرج قريب

ا 62. مكارم الأخلاق:

الطلب لقاح الإيمـ ان، فإذا اجتمع الإيمان والطلب أثمرا العمل الصالح، وحسن الظن بالله لقاح الافتقار إليه، فإذا اجتمعا أثمرا إجابة الدعاء والخشية لقاح المحبة، فإذا اجتمعا أثمرا امتثال الأوامر واجتناب النواهي والصبر لقاح اليقين فإذا اجتمعا أورثا الإمامة في الدين.

وصحة الاقتداء به r لقاح الإخلاص، فإذا اجتمعتا أثمرا قبول العمل.

والعمل لقاح العلم فإذا اجتمعا كان الفلاح والسعادة وإذا انفرد أحدهما عن الآخر لم يفد شيئا. والحلم لقاح العلم فإذا اجتمعا حصلت سيادة الدنيا والآخرة.

والعزيمة لقاح البصيرة فإذا اجتمعتا نال صاحبهما خيري الدنيا والآخرة وبلغت به همته الثريا.

وحسن القصد لقاح صحة الذهن فإذا فقدا فقد الخير كله وإذا اجتمعا أثمرا أنواع الخيرات.

وصحة الرأي لقاح الشجاعة فإذا اجتمعا كان النصر والظفر وإن فقدا فالخذلان والخيبة وإن وجد الرأي بلا شجاعة فالجبن والعجز وإن حصلت الشجاعة بلا رأي فالتهور والعطب

والصبر لقاح البصيرة فإذا اجتمعا فالخير في اجتماعهما.

والنصيحة لقاح العقل فكلما قويت النصيحة قوي العقل واستنار، والتذكر والتـ فكر كل واحد منهما لقاح الآخر إذا ا جتمعا أنتجا الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

ولقاح الهمة العالية النية الصحيحة فإذ ا اجتمعا بلغ العبد غاية المراد، والتقوى لقاح التوكل فإذا اجتمعا استقام القلب.

63. من فوائد المصائب:

أخي في السجن إن المصائب التي تتعرض لها من سجن أو غيره لها فوائد كثيرة منها:

ا- استخراج مكنون عبودية الدعاء، قال أحدهم: سبحان من استخرج الدعاء بالبلاء.

ب- كسر جماح النفس وغيرها قال تعالى: { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى (7)} [العلق].

ج- عطف الناس عليك وحبهم ودعاؤهم لك، فإن الناس يتعاطفون مع من أصيب ويتضامنون معه، فكم تتحصل عليه من دعوات عباد الله الصالحين آناء الليل وأطراف النهار؟!!!

د- صرف ما هو أعظم من تلك المصيبة فإنها صغيرة بالنسبة إلى ما هو أكبر وهو كثير.

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي نوائب هذا الدهر أم كيف يحذر
يرى الشيء مما يتقي فيخافه وما لا يرى مما وقى الله أكبر

هـ- تكفير الذنوب والآثام وكتابة الأجور والحسنات عند الله مضاعفة.

فإذا علمت بعض ثمار المصيبة اليانعة أنست بها وارتحت لها وعرفت أنها من أعظم نعم الله عليك فاصبر واحتسب { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)} [الزمر].

وصف الحسن بن سهل المحن فقال: فيها تمحيص من الذنوب وتنبيه من الغفلة وتعرض للثواب بالصبر وتذكير بالنعمة واستدعائه للمثوبة وفي قضاء الله عز وجل الخيار.

لا تيأس أرض من عمران وإن جفاها الزمان..

وما أصغر المصيبة بالأرباح إذا عادت سلامة الأرواح..

64. ثمرات الرضا بالقضاء:

أخي في الله للرضا بالقضاء ثمرات إيمانية كبيرة يرتفع بها الراضي إلى أ على المنازل فيصبح راسخا في يقينه ثابتا في اعتقاده صادقا في أقواله وأفعاله وأحواله فتمام عبوديته في جريان ما يكره من الأحكام عليه ولو لم يقع منها إلا ما يحب لما تمت له عبودية الصبر والتوكل والدعاء والتضرع والافتقار والذل والخضوع وغيرها فلسان حال المؤمنين يقول: « ماض في حكمك عدل في قضاؤك» كما في الحديث عند أحمد 1/ 391و صححه ابن حبان.

فالرضا بالقضاء يوجب لك الطمأنينة والسكينة وبرد القلب وسكونه وقراره وثباته عند اضطراب الشبه والتباس القضايا فيثق بموعود الله ورسوله قائلا: {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22)} [الأحزاب].

و تسخط القدر يؤدي إلى اضطراب القلب وانزعاجه وعدم قراره ومرضه وتمزقه فلسان حاله: { مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12)} [الأحزاب] فأصحاب هذه القلوب إن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين، وإن طولبوا بالحق الذي عليهم إذا هم يصدفون، وإذا أصابهم خير اطمأنوا به وإن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم خسروا في الدنيا والآخرة {ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)} [الحج]

والرضا عن الله في أحكامه كلها يـ ثمر رضا ا لرب، فإذا رضي العبد بقليل من الرزق رضي ربه عنه بقليل العمل مع الإخلاص وقال r : «إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط» الترمذي(2036).

ومن ملأ قلبه من الرضى بالقدر ملأ الله صدره غنى وأمنا وقناعة وفرغ قلبه لمحبته والإنابة إليه والتوكل عليه.

65. علو الهمة:

أخي في الله وأنت مثبت في سجنك بالقيود ارتفع بهمتك إلى الثريا والسماك الأعزل.

فإن من سجايا الإسلام كبر الهمة وجلالة المقصود وسمو الهدف وعظمة الغاية فالهمة هي مركز السالب والموجب في شخصك، والرقيب على جوارحك وهي الوقود الحسي والطاقة الـ ملتهبة المتجددة التي تمد صاحبها بالوثوب إلى المعالي والمسابقة إلى المحامد.

وكبر الهمة يجلب لك الخير الكثير لترقى إلى درجات الكمال فيجري في عروقك دم الشهامة والركض في ميدان العلم والعمل، فلا يراك الناس إلا واقفا على أبواب الفضائل ولا باسطا كفيك إلا لمهمات ا لأمور تنافس الرواد في الفضائل وتزاحم السادة في المزايا، لا ترضى بالدون ولا تقف في الأخير ولا تقبل بالأقل.

تعال إلى المعالي، وترفع عن سفاسف الأمور واستأصل شجرة الذل والهوان والتملق والمداهنة، فكبير الهمة ثابت الجأش لا ترهبه المواقف وفاقدها جبان رعديد.

كبر ا لهمة تاج على مفرق رأس الحر المثالي يسعى به دائما وأبدا إلى الطهر والقداسة والزيادة في الفضل.

كبر الهمة حلية ورثة الأنبياء فاقرأ سير سلفنا الصالح لترى علو الهمة:

همم كأن الشمس تخطب ودها والبدر يرسم في سناها أحرفا

فالله الله في الاهتمام بعلو الهمة وسل سيفها في غمرات الحياة:

هو الجد حتى تفضل العين أختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

66. من علامات السعادة

أخي في الله إنك حريص على السعادة في الدنيا والآخرة ولن تحصل على ذلك إلا إذا توافرت فيك علامات السعادة والفلاح:

- أن العبد كلما زيد في عمله زيد في تواضعه فهو كالجوهر الثمين كلما زاد وزنه ونفاسته غاص في قاع البحار، فهو يعلم أن العلم موهبة إلهية يمتحن ه الله بها فإن أحسن شكرها رفعه الله بها درجات { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة 11].

وكلما ازداد ع لمه ازداد خوفه وحذره فهو لا يأمن عثرة الـ قدم وزلة اللسان وتقلب القلب فهو في محاسبة ومراقبة كالطائر الحذر كلما وقع على شجرة تركها لأخرى يخاف مهارة القناص وطائشة الرصاص.

- وكلما زيد في عمره نقص من حرصه لأنه يعلم علم يقين أنه قد اقترب من المنتهى وقطع المرحلة وأشرف على وادي اليقين.

- وهو كلما زيد في ماله زيد في سخائه وبذله لأن المال عارية والواهب ممتحن ومناسبات الإمكان فرص والموت بالمرصاد.

أرى المال مثل الماء يخبث راكدا ويزكيه الاستعمال والأخذ والرد
وهل قطع الصمصام في جوف عمده وهل طاب نشرا قبل إحراقه الند

- وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم لأن العباد عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

فاصبر وصابر وادع وتضرع وسترى الفرج القريب والسعادة والفلاح.

وإني لأغضي مقلتي على القذى وألبس ثوب الصبر أبيض أبلجا
وإني لأدعو الله والأمر ضيق علي فما ينفك أن يتفرجا
وكم من فتى سدت علي ه وجوهه أصاب لها في دعوة الله مخرجا

l 67. العزم:

قال I : { فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)} [آل عمران]

إن كثيرا من الناس يضطرب عندما يريد أن يأخذ قرا را فيصيبه القلق والحيرة والشك والارتباك فيبقى في ألم مستمر، إنه على العبد أن يشاور وأن يستخير الله، وأن يتأمل قليلا فإذا غلب على ظنه الرأي الأصوب والمسلك الأحسن أقدم بلا إحجام وانتهى وقت المشاورة والاستخارة وعزم وتوكل وصمم وجزم لينهي حياة التردد والاضطراب.

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

لقد شاور رسول الله r أصحابه في بدر الكبرى ثم عزم وتوكل على الله، كما شاور أصحابه يوم أحد فأشار بعضهم عليه بالخروج من المدينة، فلما لبس لأمته وتقلد سيفه تراجعوا عن رأيهم، فقال r : « ما كان لنبي لبس لامـ ـة الحرب أن ينزعها حتى يقضي الله بينه وبين عدوه». ابن إسحاق.

المؤمن الحازم يتوقف حتى يرى أو يبصر ويترقب ويتأمل ويعيد النظر وينظر في العواقب، ويقدر الخطوات، ويبرم الرأي. إن المسألة لا تحتاج إلى تردد بل إلى إمضاء وتصميم وعزم أكيد، فإن الشجاعة والبسالة في اتخا ذ القرار، وإن التردد فساد في الرأي وبرود في الهمة وخور في التصميم وشتات في الجهد وإخفاق في السير، ودواء ذلك العزم والحزم والثبات.

إلى متى تضطرب؟! وإلى متى التردد؟!

اطرح ليتا وسوفا ولعل وامض كالسيف في كف البطل

l 68. الصبر

أخي السجين في سبيل الله: التحلي بـ الصبر من شيم الأفذاذ الذين يتلقون المكاره برحابة صدر وقوة إرادة، قال I : { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو

الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف 35] ، وقال: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل 127] وقال: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)} [لقمان] وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)} [آل عمران].

وقال r : «والصبر ضياء». مسلم(223). وقال: «ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيرا ولا أوسع من الصبر» البخاري (1469) ومسلم(1053).

وقال عمر بن الخطاب t : أفضل العيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريما.

وقال علي بن أبي طالب t : ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، أ لا إنه لا إيمان لمن لا صبر له. وقال أيضا: إن الصبر مطية لا تكبو.

وقال الحسن البصري: الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

وقال عمر بن العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرا مما انتزعه.

أخي السجين: اصبر وصابر صبر الواثق بالفرج العالم بحسن المصير، الطالب للأجر، الراغب في تكفير السيئات، اصبر مهما ادلهمت الخطوب، وأظلمت أمامك الدروب، فإن النصر مع الصبر:

دببت للمجد والساعون قد بلغوا ... جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم ... وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمرا أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

l 69. الابتسامة:

الضحك المعتدل بلسم للهموم، ومرهم للأحزان، وله قوة عجيبة في فرح الروح وجذل القلب، حتى قال أبو الدرداء t : إني لأضحك حتى يكون إجماما لقلبي.

وكان أكرم الناس r يبتسم، وربما ضحك حتى بدت نواجذه.

الضحك ذروة الانشرا ح، وقمة الراحة، ونهاية الانبساط، لكنه بلا إسراف، قال r : « لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» رواه الترمذي (2305)وابن ماجه(4193) .

لكنه التوسط كما في الحديث: « وتبسمك في وجه أخيك صدقة»(1956).

وقال l : {فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا} [النمل 19].

وليس ضحك السخرية والاستهزاء، {فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآَيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (47)} [الزخرف].

ومن نعيم أهل الجنة الضحك، { فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّار يَضْحَكُونَ (34)} [المطففين].

وكانت العرب تمدح ضحوك السن، وتجعله دليل سعة النفس، وجود الكف، وكرم السجايا:

ضحوك السن يطرب للعطايا ويفرح أن تعرض بالسؤال

وقال الآخر:

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

والحقيقة أن الإسلام بني على الوسطية والاعتدال في العقائد والعبادات والأخلاق، فلا عبوس مخيف، ولا قهقهة عابثة، لكنه سكينة ووقار، وتبسم وخفة روح.

إن انقباض الوجه والعبوس علامة على تذمر النفس وغليان الخاطر وتعكر المزاج، {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22)} [المدثر].

70. أسباب انشراح الصدر:

أخي في الله، إن انشراح الصدر هو قوام سعادتك في الدنيا والآخرة، وأهم أسبابه ما يلي:

- التوحيد: بحسب صفائه ونقائه يوسع الصدر حتى يكون أوسع من الدنيا وما فيها {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} [الأنعام 125]، ومن لم يتحصل على التوحيد قسا قلبه وضاق صدره: {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام 125].

- العلم النافع: فالعلماء أشرح الناس صدورا وأكثرهم حبورا، وأعظمهم سرورا، لما عندهم من ميراث النبوة {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} [النساء 113].

- العمل الصالح: إن الحسنة نور في القلب وضـ ياء في الوجه وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} [الزمر 22].

- الشجاعة: فالشجاع واسع البطان، ثابت الجنان، قوي الأركان، لأنه معتمد على الرحمن، فلا تهمه الحوادث، ولا تهزه الأراجيـ ف، ولا تزعزعه التوجسات:

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى   لها الليل إلا وهي من سندس خضر
وما مات حتى مات مضرب سيفه   من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

- اجتناب المعاصي: فإن كدرها حاضر، وهمها قائم، ووحشتها حاضرة، وهي ظلام قاتم:

رأيت الذنوب تميت القلوب   ويورثك الذل إدمانها
وترك الذنـ وب حياة القلوب   وخير لنفسك عصيانها

- ترك فضول النظر والكلام والطعام والمنام والخلطة: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} [النور 30].

- وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»(6136)،

- وقال ا : {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)} [الأعراف].

وقال ا : {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3)} [المؤمنون]

يا رفيق الفراش أكثرت نوما إن بعد الحياة نوما طويلا

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

الشيخ أحمد بن الكوري فك الله أسره وأسر جميع سجناء المسلمين

السجن المدني/ نواكشوط- موريتانيا

1426/11/20م